

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والبرقيات الشاجبة اوفف وزير الصحة . وقد تقرر القيام بمسيرة سلمية يشارك فيها المثقفون والصحفيون نأيذا لحبيب صادق واستنكارا للتدابير الفاشمة التي اتخذت بحقه .

وشارك الدكتور سهيل ادريس ، ممثلا لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، في عدة لقاءات ومهرجانات لنصرة هذه القضية وادانة ذلك التصرف القمعي الذي يظعن راسمال لبنان الاول : الحريات الديمقراطية وعلى رأسها حرية التفكير والتعبير التي يصونها الدستور اللبناني .

جامعة بيروت العربية

تحتفل « جامعة بيروت العربية » هذا العام بانقضاء خمسة عشر عاما على تاسيسها في بيروت . فقد انشأتها جمعية البر والاحسان عام ١٩٦٠ في العاصمة اللبنانية، وهي «مؤسسة لبنانية حرة للتعليم الجامعي» ولكنها ترتبط بجامعة الاسكندرية برابطة أكاديمية . ولا تزال جامعة بيروت العربية تلعب دورا بارزا في حياة لبنان الثقافية . (١)

وقد كان انشاء الجامعة ضرورة ملحة افتضتها ظروف المنطقة العربية . فقد رأى القائلون عليها ان هناك قطاعا كبيرا من الشباب العربي يحول ظروفهم الاجتماعية والمادية من متابعة دراساتهم الجامعية كما رأوا ان عددهم يتزايد في الوقت الذي يحتاج الوطن الى مساهمهم العلمي وجهودهم الهادفة . كما رأى المشرفون عليها هدف

(١) تضم الجامعة عدة كليات : الحقوق ، الاداب التي تشمل اللغة العربية وادابها والتاريخ والجغرافيا والدراسات الفلسفية والاجتماعية والدراسات الاسلامية وقسم اللغة الانجليزية ، كما تضم كلية التجارة (محاسبة وادارة اعمال، اقتصاد، علوم سياسية) كما ان هناك قسما للحصول على دبلوم التربية ، ومركزا لتحويل نشر البحوث التي يقوم بها اساتذة الجامعة . وتتهيء الجامعة في قسم الدراسات العليا لنيل دبلوم الدراسات العربية والاسلامية بكلية الاداب وتؤهل لتابعة الماجستير والدكتوراة .

وتعمل الجامعة على توسيع كلياتها بحيث تشمل كلية الهندسة الكهربائية والالكترونية واقسام العلوم الاساسية ، كما تطمح لان تضم كليات للطب والزراعة والصيدلة .

الشكل الفني، ويجنح نحو البشارة الى حد كبير ، بل نراه يبالغ في تضخيم موقف الخادم ازاء اسماعيل بيك . اذ يبدو الحوار بينهما مبالغا فيه ندرجة غير واقعية ، أقرب الى الافتعال ، منه الى الموقف الصادق فنيا وموضوعيا ، وكان من الممكن الايحاء به بدلا من هذا الاسراف . وهناك فقر كثيرة يسفر الكاتب فيها عن وجهه هو ، ولا يتركنا مع الشخصية تقنعنا بسلوكها واقوالها ، او نفهمها نحن من الداخل بدلا من ان يفرضها علينا طرف ثالث فرضا تصفيا .

ومهما يكن من شيء فان قارئ « البحث عن خالد » و« لحن جديد لاغنية قديمة » لا يستطيع بسهولة ان ينسى الاثر الذي تركانه في نفسه ، والانطباع الذي تطبعانه عليها ، فانهما تسللتا الى الداخل بفن وبموضوعية ، في الوقت الذي اخذ فيه « الطائر المفقود » يصيح في منطقة العقل منا : منها الى ان البورجوازية فار شرس بلتهم طعام الصفار، منذرا بالويل الذي سوف تلاقه على ايدي البروليتاريا، لاعنا الفنى والثروة والاغنياء والطبقية ، مقلتا شيئا مهما هو ان ذلك كله كان يحسن ان يتوسل اليه بصوت جميل موسيقي ، ليصبح اعق انا ، واوقوى ابقاعا ، واشد فاعلية !!

القاهرة

لجنة كتاب

اتحاد الكتاب اللبنانيين

عقدت الهيئة العامة لاتحاد الكتاب اللبنانيين جلستها المقررة في ٥ نيسان بقاعة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (ليس لاتحاد الكتاب مقر رسمي حتى الان ..) فاستتمت الى تقرير الهيئة الادارية عن نشاط الاتحاد في العامين الماضيين ، قدمه الامين العام الدكتور سهيل ادريس ، ثم الى التقرير المالي قدمه امين الصندوق الاستاذ احمد ابو سعد . وبعد مناقشة التقريرين والاستماع الى اقتراحات الاعضاء ، جرى انتخاب الهيئة الادارية الجديدة للعامين القادمين ، ففاز بالتزكية السادة : سهيل ادريس ، ميشال سليمان ، خليل حاوي ، ادونيس ، حسين مروة . ميشال عاصي ، حبيب صادق ، احمد ابو سعد ، انطوان ملتي، احمد سويد ، فؤاد الخشن ، الياس الخوري . وقد اجتمعت الهيئة الادارية الجديدة وانتخبت مكتبها كما يلي: الدكتور ميشال سليمان (امينا عاما) فؤاد الخشن (نائبا الامين العام) حبيب صادق (امينا للسر) احمد ابو سعد (امينا للصندوق) . والجدير بالذكر ان الدكتور سهيل ادريس قد بقي امينا عاما للاتحاد منذ تاسيسه عام ١٩٦٨ ، وان القانون الاساسي للاتحاد ينص على انه لا يعاد انتخاب الامين العام اكثر من دورتين متواليتين .

قضية حبيب صادق

شارك الشاعر المناضل الاستاذ حبيب صادق ، امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين ، في نموتين فكريتين حول الوضع في جنوب لبنان، فعمد وزير الصحة الذي يتولى الاسناد صادق في وزارته منصب اداريا الى « معاقبته » بايقافه عن العمل مدة ١٥ يوما وحسم راتبه لهذه المدة وتأخير تدرجه مدة عام ونقله الى عمل اداري اخر ادنى رتبة من عمله الاصلي ..

ومنذ اكثر من شهر، تقوم في لبنان كله حملة لنصرة الشاعر المناضل استنكارا لهذا التدبير القمعي ومطالبة بالفاء القانون الذي يفرض على الموظف طلب الاذن من وزيره للكتابة او المشاركة في الحياة الثقافية . وقد نشرت الصحف كثيرا من المقالات المدافعة عن حبيب صادق،

وكاتب هذه القصة يريد ترمية الطبقة البورجوازية ، والانتصار للبروليتاريا الرثة ، ويكشف عن ابعاد التناقض الطبقي المقيت ، بل يذهب الى ابعد من ذلك حين يفضح اخلاقيات وقيم البورجوازية عندما يضع امامها - وعلى النقيض تماما - سلوك وتصرفات البروليتاريا . فاسماعيل بيك ابو الذهب يمثل كل ما يتصل بالزيف، والخداع ، والجنون ، والمظاهرة ، والاستغلال ، والجشع ، والنفاهة . بينما الخادم يمتلك « الذكاء ، والصدق ، والشجاعة ، والواقعية ، والايجابية في اتخاذ المواقف ! ولا شك ان الكاتب كان ذكيا فسي اختيار « الحدث » البسيط للدلالة على اشياء كثيرة مفقودة : ربما المساواة الاقتصادية ، والمعادلة الاجتماعية ، واللاطبقة ، وهي طيور مفقودة من حياة البشر جميعا ، كالطائر الذي فقد من قصر اسماعيل بيك ابو الذهب . وان كان فقدانه هنا مزيفا ، لان السارق من نفس الطبقة ، ولانه سرق من اجل الزينة والمتعة الشخصية والمنفعة الخاصة . اما تلك الطيور المفقودة في حياة الخدم وغيرهم فانها ليست للزينة وان تكون ابدأ . انها طيور حادة لتلتهم الفئران الجشعة التي تنقض على طعام الصيبة الصفار ، فتلتهمه .

وجريان الكاتب وراء هذا الهدف ، وتشبث فكرته ، جعله يفقد

من الشباب العربي ، الذين بدأوا بعد تخرجهم ، يقومون بفصل علمهم ومواهبهم ، بواجبهم القومي في رفع مستوى بلادهم الحضاري .
اما في لبنان ، فما يزال سجن الرمل من الامسور التي نورق الجامعة ، ومن الضروري ازالة هذا السجن من جوارها ، وضم ارضه اليها ، لان ارضه هي المنفس الوحيد للجامعة والامتداد الطبيعي لها . ومن حق الجامعة ان يليها المسؤولون طلبها لما تقدمه من خدمات جليلة في حقل التعليم والثقافة والاقتصاد الوطني . وقد وعدت الدولة بوضع الارض تحت تصرف الجامعة حين يتم انجاز سجن رومية . وبذلك يتحقق القول : افتتح مدرسة تطلق سجننا .

ج . م . ح .

رسالة القاهرة من سامي خشبة طه حسين ، والثقافة العربية : قضية غير مصرية !

احتفلوا « هنا » في الشهر الماضي بالذكرى الثانية لوفاة طه حسين . بين يدي الان مجموعة الابحاث والقصائد و« الكلمات » التي القيت لاحياء ذكرى الراحل العظيم . انطلق ، واطلب اليكم ان تنظموها: هل ترون في قاهرته الاثر الذي كان ينبغي ان يتركه ، وان يتركه جيله الكبير ، ثم تلاذبتهم الكبار ؟ ان ما قيل في احياء ذكره الثانية (الثانية فحسب) وجاء منتميا ، او امتدادا ، او تطورا لما قال به عن المعرفة والعقل ، وعن مناهج التفكير العلمية وعن النظر النقدي وعن رفض النقل وضرورة التفكير الحر ، لم يأت من مصر ، وانما جاء من العراق او من الجزائر ، من سوريا او من لبنان او من المغرب . ولكنه لم يأت من مصر . اننا قد نختلف - ونحن مختلفون - معه في اكثر ما يوصل اليه من نتائج عملية حول الثقافة العربية وحول تاريخها ومستقبلها . ولكننا - ان كنا نريد ان ننمي حقا السى جماعة المفكرين لا الناقلين - لا بد ان نعرف ما غرسه عقله في التربة التي منها نبينا . بل اننا - اذا شئنا ان نصوغ التصور العلمي والاكثر صدقا عن الثقافة العربية وعن تاريخها ومستقبلها ، فلا بد ان سيكسون ما قاله طه حسين عن كل ذلك احدى مراحل بحثنا الاساسية ، ولا بد ان سيكون جدلنا معه احدى خطوات تقدمنا الضرورية نحو تصورنا نحن المختلف عن تصوره . ان الكثير من العقول العظيمة التي انتجتها ثقافتنا في نصف القرن الاخير (مهما كان حجم عظمتها ، قياسا الى حجم حضارتنا ذاتها) شبت ونفذت من خلال غذاء النور والقدرة على النظر النقدي الذي اناحه هو لاصحابها . وعلى العكس ، ان الكثير من العقول القوية التي كان يمكن ان تقدم الكثير من العطاء ، فدغمت واصابها البوار ، لانها رفضت محاورته لمجرد اختلاف اصحابها مع نتائجه الفعلية حول تاريخ الثقافة العربية او حول مستقبلها . وكثير من العقول المتوسطة والعادية ، لم تستطع ان تتجاوز قدراتها لانها لم تجرؤ على الدخول من الابواب المؤدية الى عراء البحث وجحيم التجربة التي فتحها هو ، عارفا بما يفضي اليه العراء والجحيم معا من اكتمال لنضج عقل الانسان وخروجه من عالم الطفولة او حالة الخدر . وربما كان من ادلة عظمة طه حسين ، انه لم يتحول الى « مدرسة » بالمعنى الكامل للمدرسة في الفكر . فبصرف النظر عن الاسباب الموضوعية لذلك ، فان الاسباب الذاتية التي تميز بها تلامذته المباشرون ، والتي تشير الى مقدار خشيتهم منولوج الابواب التي فتحها حتى لا يضطروا الى النكوص مثلما اضطر هو ، دون ان نكون لهم نفس قدرته على الالتفاف حول جدران التحريم والتكفير والبتر ، هذه الاسباب الذاتية تؤكد ما كان للرجل من قدرة شخصية على المفارمة العقلية (او التصدي الاجتماعي ايضا) وهي قدرة لم يكن بوسعها ان يورثها لابناء حصنوا انفسهم مقدما من آثارها . وهذا معناه ببساطة ان الرجل (من ١٩٢٤ حتى ١٩٤٠) كان بمفرده مرحلة كاملة من تطور الثقافة العربية في مصر ، لا يرافقه فيها سوى رجل واحد (علي عبدالرازق) ولم يرافقه فيها اكثر من خطوة واحدة . ثم كان لا بد ان تبرز مرحلة اخرى الى الوجود ، وكان لا بد لاصحابها ان يضلوا طويلا قبل ان

ايجاد جامعة عربية ذات تقاليد عربية واسلامية ، لتقف في وجه التيارات الثقافية الدخيلة على المنطفة العربية ، كما راعت فسي اصسامها احتياجات المنطفة اخذة لمبدأ الاوتويات في التخصصات العلمية .

واقبال الطلبة على جامعة بيروت العربية فاق كل تصور ، فقد ارتفع عدد طلابها من ١١١ طالبا وطالبة حتى خمسة وعشرين الف طالب وطالبة وهو عدد يزيد على مجموع عدد طلاب الجامعات الاخرى القائمة في لبنان .

اما الطابع العام للجامعة فهو طابع عربي اسلامي ، فلفه التعليم فيها هي اللغة العربية ، (ما عدا قسم اللغة الانكليزية ، والهندسة المعمارية) والدراسات الاسلامية تحظى بنصيب ملحوظ في مناهجها الدراسية (ضرورة معرفة احدى اللغتين الفرنسية او الانكليزية كمادة اجبارية خلال السنوات الدراسية) .

اما هيئة التدريس فقد حرصت مصر على ضمان المستوى العلمي للجامعة وربطتها بجامعة الاسكندرية من حيث المناهج والمشاركة في الامتحانات وتدرسي اسانديها بها ، ومنح الدرجات العلمية .

وقد ساهمت الجامعة العربية ، بتخريج الالف من الشباب الجامعي الذي بات يحتل موقفه في ميادين الاختصاص المتنوعه وبشارك على نطاق العالم العربي كله في نهضته العلمية والثقافية .

ولما كانت الجامعة العربية نعي احتياجات الوطن العربي المقبل على عصر جديد في مجال التكنولوجيا والعلوم الطبيعية في الصناعة والتصنيع ، فقد ادركت بان المنطفة ستكون في اسس الحاجة الى اجيال جديدة من ذوي الخبرة العملية والفنية ، فانشأت كلية للهندسة الكهربائية وكلية للعلوم ، سيبدأ التدريس فيهما ابتداء من العام الدراسي المقبل .

اما موارد الجامعة فهي الرسوم الدراسية التي تحصلها من الطلاب ، وهي رسوم رمزية . ومصر هي التي تمد يد العون لها : اسهمت في اتمام مباني الجامعة، وفي تأنيثها ، وفي تخصيص معونة مالية سنوية ، وفي تزويدها بكبار اساندة جامعاتها (٧٠ اساندا) مع تحمل مرتباتهم . وقد بلغ اسهام مصر اكثر من خمسة ملايين جنيه مصري والمطلوب الان والجامعة العربية على ابواب توسعها ، ان تمد لها يد العون من جميع البلدان العربية لنظل قادرة على القيام بدورها العلمي والحضاري .

وتضم الجامعة مكتبة ضخمة تحوي ما يقارب سبعين الف مجلد والفي دورية وتتميز بمجموعاتها في الدراسات اللبنانية والفلسطينية والعربية والاسلامية بالاضافة الى المعاجم ودوائر المعارف والوسوعات العامة . وتتمثل في هذه المكتبة طابع الشمول على مختلف التيارات الفكرية العالية باقتناء مصادرها الاصلية وما يكتب عنها .

وتؤمن الجامعة بضرورة الانفتاح الثقافي العالمي لذلك نظمت دورات دراسية تساعد طلابها الراغبين في معرفة لغات اجنبية يقوم بتدريسها اساندة متخصصون (تسع لغات) .

كما تساهم الجامعة في نشر الوعي الثقافي فتدعو نخبة من رجال الفكر في لبنان والعالم العربي للقاء محاضرات عامة تعالج بعض قضايا العلم والفن والادب ، كما ترعى المعارض الفنية لفنانين عرب وتعبرهم بعض فاعاتها تشجيعا للمواهب ، وتقيم سنويا المعرض المعماري لابرار النشاط العلمي والفني لطلابها ، والمعرض الجغرافي الذي يضم النماذج والخرائط التي يشترك طلاب الجغرافيا في تصميمها وتنفيذها ، ومعارض الكتب بالتعاون مع دور النشر من محلية وعالمية .

ويلعب اتحاد الطلبة في الجامعة العربية دورا بارزا في الحياة اللبنانية والعربية ، في بث الروح الجامعية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والفكرية والرياضية والفنية وفي ممارسة حربة التعبير عن ارائهم واثبات ذاتيتهم عبر روابطهم ومجلاتهم .

اما اثر الجامعة الكبير فيعود خاصة الى اسهامها في حل مشكلات التعليم الجامعي في الوطن العربي عن طريق الانتساب ، كما فتحت باب الالتحاق بها اصنام الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية دون النظر الى حداثة هذا الانتساب او قدمه فزادت عدد المتخصصين

كان الاساذ الدكتور سهيل ادريس فد عمل على مواجهة ما يفرزه نيار لبناني متخلف من اضرار بجسدت في فصيذة سميد عقل ، بمفارنتها بفصيذة نزار فياني (الجميلة فعلا ، له علينا هذا الحق وهذا الجميل) نم بمفارنتها (فصيذة عقل) بالواقع اللبناني المزيروالمحرق ، فان نسا ان نفاان الجميع ، فصاندهم وابجانهم وكلمانهم بالواقع الثقافي المصري .

★ ★ ★

من الواضح اننا حين نتحدث عن مساهمه هه حسين في توير العقلية العربية ، فاننا لا نحدث عن مقلانه في النقد التطبيقي ، سواء لاعمال الشعراء والكتاب الفدائي او لاعمال المعاصرين له . اننا نتحدث اساسا عن أعماله ذات الطابع الفكري ، التي كانت - او كان المفروض لها - انها مفاتيح اولية لصياغه مبادئ العلوم الانسانية من وجهة النظر العربية ، وان كانت قد جاءت - بحكم انظروف الموضوعية - مجرد تطبيق مناهج هذه العلوم الغربية على مادتها العربية ، في تاريخ الادب ، وتاريخ الفلسفة ، وتاريخ الدين ، والتاريخ السياسي والاجتماعي العام . ولعل السبب الذي اعطى لاعمال هه حسين في هذه المجالات الاربعة ، قيمتها الحقيقية ، هو استناده الى نوع من المنهج الوضعي ، التاريخي الاجماعي ، اتاح له ان يضع جانباً هاماً من التراث العربي (الاسلامي ومما قبل الاسلام) تحت ضوء جديد ، فلسفي ونفدي ، كشف في هذا التراث ابعادا ، وحدد احكاما ، وقلب موازين للتقدير ، وكان المفروض بعد ذلك ان تسمو عملية « نقد التراث » ثم « نقد النقد » من منظورات اكثر شمولاً وعلمية ، بهدف اعادة تقييم مجموع تراث الامة (لا بهدف « اختيار » ما نراه مناسباً ، كأنما تراث الامة معرض « كل شيء ») وكأنما نحن في المعرض زبائن موسم نريد منه كسوة او بضاعة) ويهدف اعادة صياغة علاقة الامة بتراثها (اي بذاتها في الماضي) على اسس الوعي بالتراث ومعرفته ، ثم مفارقتها والتأسيس الجديد فوفه . وبمعنى اخر ، ان الهدف النهائي ، كان هو وضع « العلوم الانسانية » العربية ، اعتماداً على تطوير مصطلحات ومناهج هذه العلوم في صورها التراثية ، حتى يتمكن العقل العربي ، باستيعاب وتطوير هذه العلوم من الحصول على صورة اقرب ما تكون للحقيقة عن حضارته وتاريخه وواقفه الاجتماعي من جوانبه المختلفة . كان المفروض ، ان يكون هناك عمل من نوع معين ، بعد رسالة طه حسين عن ابي العلاء ، ثم بعد رسالته عن ابن خلدون ، ثم بعد كتابه عن الشعر الجاهلي ، من اجل الاقلال الرسالتان والكتاب مجرد « مصادفات » عابرة ، تستدعي التعظيم احياناً ، والاستنكار احياناً ، فبلة اعجاب او ركلة سخط نستقر بعدها جميعاً الى جانب حافظ فديم في اهمال . كان المفروض ان يكون هناك عمل « نقدي » جديد ، لا تستطيع غير الفلسفة العلمية ان تنجزه تو ان اصحابها كانوا علميين حقا ، من اجل اعادة اكتشاف وتقييم تاريخ الفلسفة العربية ، وعلوم التاريخ والاجتماع العربية ، وتاريخ الادب العربي (اصوله وتطوره) من اجل حسم عدة فضايا اساسية ، لا تقل اهميتها للعمل السياسي التكتيكي نفسه عن اهميتها للقضايا الثقافية الاستراتيجية العظمى في اي مجتمع : قضايا الانتماء الحضاري لمصر وللعالم العربي ، والموقف من التصور « الغربي » عن الحضارة العربية ، وحقيقة اصول وتطور التكوينات الاجتماعية العربية ، ومدى تأثر هذه التكوينات - وتطورها - بموروثها الثقافي الخاص وبالمؤثرات الثقافية الوافدة والاطسوار الاجتماعية الجديدة التي كان لا بد ان تخوضها مع الانفتاح الفسري او الاختياري على حضارة اقرب البوردجوازية الفازية . باختصار ، كان لا بد لعلوم الانسان والمجتمع ان توجد على اساس دراسة الواقع بالمناهج العلمية المطوعة للواقع نفسه ، بعد سد النقص الذي كان لا بد لاعمال طه حسين ان تقع فيه ، من نقص المعلومات ، الى التبني غير النقدي لوجهات نظر ولعلومات المستشرقين ، ومن ثم الى اغلاق الباب امام الفكر البوردجوازي المصري والعربي للمساهمة في حل المشكلة ، انتظاراً للمساهمة التي كان المفترض ان تأتي من اتجاه فكري علمي حقا ، او على الاقل ، مكتمل العلمية .

★ ★ ★

لست اعتقد بعد هذا ، او بعد ان استسلمت لاغراء الحديث

يصلوا الى اكتشاف ضرورة الالتفاه - مثلما اكتشف هو - حول جذران انحرهم والكثير ، بدلا من ان يعيدوا - ببساطة - النظر في منطلقاته هو ذاتها ، معتمدين على المنهج الذي فرسه بنفسه في المناخ العقلي الذي خرجوا هم ليتنفسوه : منهج النقد والتسك فيما قاله السلف مهما كان اكبارنا تشيوخه ، اعتماداً على أكبر قدر من المعلومات نتيجها وسائل البحث الموضوعية ، لكي نكون من المعلومات والنقد في ان « معرفة » موضوعية بتاريخ الامة وثقافتها .

وربما كانت هذه مناسبة لكي نقول لهم (انصحهم ان افول : لنا) ان المنهج العلمي في الفلسفة ، مطبقاً على التاريخ او على اي مجال من مجالات الوجود الاجتماعية ، لا يمكن ان يقوم - ولم يكن من الممكن ان يقوم - قبل ان تتمكن وسائل البحث الموضوعية من جمع وتيوب كميات هائلة من المعلومات (تراكمت حتى ادى تراكمها واعادة نقدها الى كشوف معرفية عظمية ، ابرز منها التاريخ العلمي للفلسفة كشوفاً بعينها باعتبارها المقدمات الاساسية والاسانيد التي مهدت لظهور الفلسفة العلمية ذاتها) . وانه من بديهيات الفلسفة العلمية ، ومن « الف بانها » ، ان الكشوف العلمية العظمى قادرة على اضافة ملامح اساسية جديدة للفلسفة العلمية ، وتترتب على ذلك بديهية اخرى : ان المعرفة التي كانت متوافرة لعلماء الاجتماع والاقتصاد وفلاسفته اوروبا في القرن الماضي عن تاريخ الامة العربية وعن تاريخ السموب الاسيوية والافريقيه عموماً كانت معرفة ناقصة ، بالاصاحه الى ان الكثير من هذه المعرفة الناقصة كان مصافاً من وجهات نظر رحاله او رجال دين او هواه غير متخصصين من الاداريين والعسكريين ذوي الفكر غير العلمي وادوات البحث العاصرة . وبالنسبة فان ملاحظات الفلسفة العلمية في مراجعتها انكلاسيكية في القرن الماضي حول تاريخ وتطور مجتمعاتنا ليست منزهة عن الخطأ وليست بعيدة عن الوقوع في اوهام عديدة . وعلينا هنا ان نضيف ان هذه الملاحظات قد وصفت لكي تحقق الشمول نظرية علمية حول التطور التاريخي للمجتمع الانساني استندت في الالاساس الى معرفة شاملة بتاريخ الحضارة الغربية وحدها ، مع المام عام بالاصول الغربية لهذه الحضارة . فتلك الملاحظات عن حضاراتنا ومجتمعاتنا لا بعد اكثر من بدايات لمحاولات لم نفس المهم النظري الى نطاق حضاري اخر اعتماداً على القوانين الاساسية للفلسفة العلمية وليس على العوائين الاساسية لحرارة « التاريخ » الازروبي .

وكان عدم اكتمال المعلومات اساساً هو مشكلة طه حسين ، بالاضافة الى قصور منهجه الفكري العام (المنهج الوضعي) . ولكن لم تكن هذه سوى مشكلته الذاتية . اما المشكلة الموضوعية فتتمثل في الاطار العام الذي تحركت فيه المرحلة التي جسدها : اطار انعدام الثقة في قدرة الثقافة التقليدية الموروثة على مجابهة مشاكل العصر وحلها ، ولا على مجابهة وحل مشاكل المجتمع الثقافي ذاتها ، وانعدام الثقة في المؤسسات التعليمية الموروثة ايضاً ، يقابل هذا ثقة مطلقة في « علمانية » وموضوعية الثقافة الغربية (ثقافة المستعمرين) وعلمانية وموضوعية ما توصلت اليه من نتائج بشأن حضارتنا وتاريخنا وتطورنا الثقافي . وبينما نرى فدراً معقولاً من اليقظة النقدية ازاء كتابات الرحالة والمستكشفين عن مجتمعاتنا في مراسلات ماركس وانجلز مثلاً ، نرى نوعاً من التسليم الكامل بآراء المستشرقين في مجتمعاتنا وموروثنا الثقافي في كتابات طه حسين عن تاريخنا الثقافي ونقده ، مع عدم الحرص على استكمال المعلومات الناقصة ونقد ما توفر على المستشرقين من معلومات . .

ولكنني لم اشعر في كتابة هذه الرسالة لكي احوها الى مقال نقدي عن طه حسين ، وانما لكي تكون « ملاحظات » حول الاحتفال الرسمي بذكراه الثانية . فال بعضهم انه ابوهم او انه كان لهم ابا ، وقال آخرون ما اجل اسلوبه في التعبير . وكان الرجل عاش ومات لا لشيء الا لكي تنسب اليه شر الذرية ، او لمجرد ان يكون صناجة يكتب ليظهر بهم . لا يهمني هنا ما قاله الشعراء كثيرا ، فليس لنا ان نتنظر منهم اكثر من الاشارة الى العموميات والى التلميح الى مصير الانسان وعظمة الفاضب وجدارة الاحياء اكثر من الموتى بالرائه ، والى حال مصر من بعد العميد الفقيذ وهوانها على « بني قحطان » . واذا

عن طه حسين ، بدلا من معاناة الحديث عما قاوه عنه في احفالاتنا الرسمية ، لست اعتقد انني سأكون قادرا على معاناة ذلك الحديث الذي ما بدأت الا لكي اكتبه . في ايديكم - كما بين يدي - اعداد مجلات الهلال والثقافة والكتاب المصرية ، في شهري مارس وابريل (اذار ونيسان) . نلت استديعكم شهودا ، لانني لا اعتقد ان في الامر ما يستدعي المحاكمة . فالقضية ، طه حسين ، والثقافة العربية ، ليست مسألة « مصرية » كما تعرفون ، وكما هو اكثر وضوحا الان .
القاهرة

ع ع س

رسالة سوريا من سعيد حورانية

من اين ابدأ رسالتي عن الادب والفكر والفن والمسرح والسينما .. الى اخر هذه القائمة من الكلمات المعجبية الصعبة التي اذا استمر خطها البياني في الانخفاض على هذا الشكل الصاروخي ، فسنتجأ الى بضعة حفرات صابرة لتلقيب عن اثارها ، بعد ان دخلت سوق البيع والشراء تحت سمع بعض اجهزة الدولة او بتشجيعها ، او بجعلها ، او عاميها ، او الاشراف المباشر على المزاد الرخيص .

سوريا البلد الذي اصبح محط انظار العالم .. سوريا الصمود، سوريا الامل ، تعاني من ازمة في مجالات الثقافة جميعا .. ازمة خانقة وعميقة ومفصلة تتناسب عكسا ، ويا للعجب ، مع النهوض السياسي والاقتصادي وتزايد الوعي الاجتماعي والقومي حتى لكان هناك ، من الداخل ، قوى تحاول ان تشد العربية الى الوراء ، وان تعرف المسيرة ، عن قصد ، ولولا بعض النوافذ المشرقة هنا وهناك لانكر المرء بلده الذي لعب دورا من اخطر الادوار في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة .

لا .. ليس هذا بكاء على الماضي ، وانما بكاء على الحاضر .. فلقد اصبح الترددي الفكري والادبي والفني انبه بأجبيات اللامعقول . « الامية ، نظريا ، يجب ان تراجع . وهي ، عمليا ، تتفاقم في المدن والريف على السواء رغم اننا منحنا جائزة اليونسكو لجهودنا في نشر التعليم . والفكر النظري يتممض ببعض نفاحات الثقافة الغربية فلا يعطيها من الصبغة الوضعية الا رائحة اسنانه المذهبة ، او يخرج علينا بمقولات ارهابية شاملة باسم القومية او التراث وهو جاهل بكليهما ومتاجر بكليهما ، اما اذا ولد بعد مخاض ، ولد طرحا مضحكا كالنظرية الحيوية التي ولدت لتتبر العالم كالسيح ، والنجوم يحف بها وبرعاها وتدفعها ، وحاولت هذه النظرية التسهولية الكرنية الكوسموسية (قد يكون في انجوم عوالم اخرى نحتاج اليها) والتي قال عنها مؤلفها وبعض مفرطيهما انها تجاوزت طوباويات هيجل وخزعبلات ماركس ، التي (اثبت الزمن فشلها !!) حاولت ان تقتحم الفكر بمحاولة انقلاب على الطريقة السورية، وجندت الصحافة والاذاعة والتلفزيون كامل قواها لتزف النبا لسعيد الذي طال انتظاره بعد عقم طويل ، ولم يبق عليها سوى ان تذيع برقيات التأييد بعد ان جمعت كثيرا من العلماء المساكين الذمورين في مؤتمر صحفي واذاعي كان المؤلف يقف فوقهم شاهرا قلمه بتواضع .. انها ليست مسرحية كاريكاتورية بل ميلودراما عصرية ، وانتهت المهزلة بمسد اسابيع ، فالطرح اثبت انه لن يقوي على الحياة ولو في ففص من الاوكسجين بعد ان امتلات رئناه بالفحم .

من يراقب من ؟

فاذا انتقلنا الى الرقابة وقمنا في دهاليز متشابكة ملتوية لا اول لها ولا اخر كدهاليز كافكا الاسطورية . في كلمة بليفة للرئيس حافظ الاسد حدد مفهوم الرقابة كما يراها . قال : لا رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير ورقابتنا باجهزتها البالية المتخلفة من عهود وعهود ، تفعل ما في وسعها ، لتفرغ هذا القول من محتواه ولتراقب الضمير نفسه ، ولتقف كالسد امام الاتصال

بالجماهير في مختلف مجالات الاعلام والنشر والمسرح ، بل انها تسهر بداب لكي لا يصل الى جمهورنا الا الفت البليد ، والمعاد المكرور ، والفكر المصفى جيدا من اية (مفرقات) قد تؤثر على هيمنتها وتحكمها ، او تزعج ارتباطاتها او صداقاتها او التزاماتها الربية احيانا مع القوى المعادية للتقدم وللمسيرة الاشتراكية وتوسيد مواقع القطاع العام وللفكر الوطني التقدمي في الدولة .

ومصفاة الرقابة اشكال وانواع .. لا تعرف احيانا من يراقب من، رئيسك المباشر يراقب ، ورئيس رئيسك يراقب ، والمدير يراقب والمدير العام يراقب فلا يصل العمل الى مرحلته النهائية الا ويصبح كدجاجة البدي عظاما وجنحين مكسورين .

والرقابة الرسمية ، المعينة من قبل الدولة مفهومة ، تستطيع ان تتعامل معها وان تناقش وان تدافع عن فكره ووجهة نظرك ، ولكن الرقابة الاخرى ، الرقابة الخفية ، التي تمد اذرعها الاخطبوطية الى كل مكان ، تتنامى بيرفراغيتها في بلدنا انامي ، بمعدلات تفوق ما يذاع عن نمو الدخل القومي .. لقد اقامت من نفسها ، بحكم موقعها الوظيفي في كادر الدولة ، رقابة خارجة عن الرقابة المعلنة ، تتحدث باسم سياسة الدولة ، وغالبا ضد سياسة الدولة ، ملتفة حول الانجازات التقدمية ، مفسرة « ومجتهدة » على هواها وكانها دولة داخل دولة .

والا فإين النتاج الفكري والفني والمسرحي والادبي الذي يصلح المشاكل الحقيقية للجماهير ويعكس تطلعاتها وكيف اختفت بعض المواضيع من هذا النتاج نهائيا باسم وطنية المعركة وقوميتها وباسم الحياد وباسم خطورة المرحلة ؟ وماذا يستطيع في مثل هذه الظروف ان يقدم الكاتب او الفنان الى هذا الجيل المتنامي الذي يطرح الاف الاسئلة دون ان يرى جوابا عليها وكيف انتشرت كالجرب مواضيع الجنس والقتل والسرقة والعقد النفسية والجنسية ، وقصص اللامعقول والرمز المجاني ، ثم هذه المسلسلات التاريخية التي لا يقصد بها الا الهروب من الواقع ، والعودة الى الرومانتيكية دون اي اسقاط على العصر ، ثم بروز البرامج الدينية حتى نكأنا ، عندما نستمع الى بعض برامج الاذاعة قد انتقلنا الى تكية للدرنايش ؟ ولماذا تضع اذاعتنا وتلفزيوننا نصب عينيهما انتاج برامج تباع للخليج وللسمودية بقصد الربح التجاري فقط مهملا المطالب الاساسية للمواطنين ؟ واين اخيرا دور الرقيب السري في ذلك ؟

والواقع ان من يستمع الى اذاعتنا او يرى برامج تلفزيوننا ، سيرى بصمات الرقيب الخفي على اكثر برامجها ، من مسلسلات هابطة سورية وعربية واجنبية تستلب المشاهد ، وتبعده عن المشاكل الاساسية ، الى افلام مصرية طويلة تجاوزها توت عنخ امون نفسه ، الى اذاعة افان طويلة تأكل وقت المواطن ..

اما اذا استثنيت من الاذاعة البرامج التي تشرف عليها الدولة والمؤسسات مباشرة، فبإمكانك الظن وانت تستمع الى الاغاني والمسلسلات اننا حاربنا في تشرين بسيف منترة ، ورمح عروة ، وجمل الشنفرى .. الم تسل دساؤنا مع البترول ؟ وكفى ذلك دليلا على قوميصة المعركة .

نعم هؤلاء هم الرقباء السريون !

جيش من الاداريين الفارغين الذين لم يفتحوا كتابا منذ سنوات ، والذين يزدادون مع الايام امية وتخلقا ، يتضخم ويتضخم كالسرطان الخبيث ليتمنى موارد الدولة ، ويعرقل سياستها ، ويشوه مسيرتها .. مؤهلات متواضعة ، (احيانا شهادة متوسطة) ومرتبات كبيرة يعقود خارجة عن صلاحية مجلس الوزراء (تملغ معاش دكتوراة دولة احيانا) تنفل كالنمل في كل مكان ، تدس انفها في كل شيء ، توجه ، وتقود ، وتخرّب ، وماذا يفعل هذا الجيش العرمرم في نهاية المطاف اذا كان الذين ينتجون في سوريا لا يتجاوزون الثلاثين ؟ ياله من جيش دون عسكر ! وكيف وجدوا في هذه الامكنة الحساسة التي هي وجه الدولة

الثقافي والعلمي والادبي والفني؟ لتتذكر المثل الياباني المشهور :
الذي يتلوه اكثر يجد نفسه في قيادة المظاهرة .
والسرح ؟

يقول لطفي الخولي معلما على ازمة المسرح المصري : « ان هذه
المرحلة ستذكر في تاريخ المسرح كما يذكر المالك في تاريخ مصر » .
فاذا صح هذا القول على مسرح قديم له منجزاته وتقاليده والذي
شهدنا ازدهاره الكبير منذ منتصف الخمسينيات على ايدي نعمان
عاشور وسعد الدين وهبة وسعد اردش وجمال الشرفاوي ونجيب
سرور وكرم مطاوع وميخائيل رومان وانفريد فرج وغيرهم وغيرهم فماذا
يقال عن مسرحنا الفني الذي ما ان وقف على قدميه بفضل رعاية
الدولة المتمثلة بالمسرح القومي ، الذي قدم على نواضحه بعض الاعمال
الباهرة ، حتى انفض عليه المسرح الخاص لتجاري ليحاول الاجهاز عليه .
نفس المأساة : جيش الاداريين ، غياب الرقابة ، اسئثار بعض
المخرجين بالمواسم . انعدام التخطيط ، ضعف لجان القراءة ، بؤس
مستوى الممثلين ، الوفوف في وجه الوجوه الجديدة ، انحدار المستوى
النظري ، واخيرا عدم وجود معهد مسرحي في سوريا .

لقد حاولت الدولة حقا ان تدعم المسرح القومي ، وصدر مرسوم
جمهوري بانصاف الفنانين ومنهم الممثلون والمخرجون والفنيون ، ولكن
لم يحدث اي تغيير الا نحو الاسوأ . بدأ الممثلون بعد ان اطمأنوا
الى مستقبلهم ينظرون الى المسرح وكأنه مورد رزق لا رسالة فنية ، ولعبت
سياسة النجوم دورها في اضعاف سلطة المخرج على الممثلين ،
ويمكن ان نشاهد « مراكز القوى » في كل مسرحية : من انعدام الإيقاع ،
وغلبة الصوت الواحد ، وخلخلة التوازن ، وبقاوت الاداء ، ومحاولة
التفوق على الاخرين ، والارتجال في الميزانسين ، الى اخر هذه
النواقص الخطيرة التي تدمر اي عمل مسرحي جاد .

ولن نفضل الان في عروض القطاع الخاص التي ابرزنا في رسالتنا
الماضية بعضا منها ، والتي تقوم على التهريج واعتماد الفناء والرقص
والنكت الجنسية ، والنقد السياسي الجاني للتنفيس ، وكل بهارات
التجارة الرخيصة ، والتي تلقى تشجيعا كبيرا من بعض الاجهزة : بالمال ،
وتأمين المسارح ، وشراء البطاقات وفرضها ، مما يحلم ببعضه المسرح
القومي . . فهذا كله ينبع من سياسة واحدة : تقريب الشعب عمن
واقفه ، واستلابه بالجزئيات التي تنفس عنه ، وقتل كل ما يتصل
بالقطاع انعام ، واظهاره بمظهر العاجز عن المنافسة ، وقد ساعدت
خطة المسرح القومي في حذرنا في اختيار الموضوعات ، وبعدها عن كل
ما يفلق ، في تنامي دور المسرح التجاري اندي يجد فيه المشرج بعض
ما « يفش خلقه » من شتم المخابرات الذي اصبح الان موضحة تورية ،
وتعداد نواقص بعض موظفي القطاع العام من رشوة وفساد وسوء ادارة
وسرقة وجهل ، دون التعرض الى الصراع الحقيقي الذي يدور في
البلد بين ترسيخ القطاع العام وانجزات التقدمية الاخرى ، وبين
اعدائه من الطبقة الصاعدة المرتبطة بالتجارة ، والتي تزداد ثروتها
بصورة خيالية ، والتي تتمسح بشعارات السلطة وتفعل كل ما تستطيع
لافراغها من الداخل .

وفي رأيي انه لا يمكن معالجة الحالة الا بوضع خطة مسرحية
عامة للدولة ، يشترك فيها كل المعنيين بشؤون المسرح من مؤلفين
ومخرجين وممثلين ، وخلق « بيوت مسرحية » مستقلة ضمن الخطة
العامة لها ريبورتوارها وممثلوها وميزانيتها ومسرحها تحت إشراف
مخرج متمكن تعاونه لجنة منتخبة ، الى جانب انشاء الرقابة
البيروقراطية الجاهلة ، والاسراع في بناء المعهد المسرحي الذي هو
الامل لخلق جيل بعيد عن امراض مسرحنا العليل ، واخيرا وليس
اخرا افساح المجال للمخرجين الجدد الذين وفدوا حديثا والذين
لا يجدون مكانا يعملون فيه ، واذا اتفق واستطاع احدهم اخراج مسرحية
مع الجامعة او مع المسرح المدرس توضع في وجهه العراقيل بحجة
انتشال قاعة المسرح القومي الدائم في نشاطات بعيدة عن المسرح في
بعض الاحيان .

وعن السينيما ؟

وفي السينيما ، اكثر الفنون جماهيرية ، يبدو الامر اتمس . . .

صالات السينيما في القطر - ما عدا اربع صالات ونصف يمكنها القطاع
العام - حكر على الافلام التجارية السورية والعربية والاجنبية . . .
الافلام المستهلكة كليا من التي تباع في بيروت بالكيلو قبل احراقها
تعرض في صالات الدرجة الاولى عندنا ، بينما تتكشى السينيما
التنظيفة في صالة الكندي وملحقاتها في المحافظات ، وفي عروض النادي
السينمائي كل ثلاثة ، وعلى جمهور محدود ، ولن نتحدث الان عن
مؤسسة السينيما التي كانت محط الامل في الانتاج الجاد على مستوى
الوطن العربي ذات يوم . . لن نحاسبها الان . . فهي لم تنشر برنامجها
هذا العام باذنتها الجديدة . وقد قيل كلام كثير عن تأجيرها المعامل
التابعة لها للقطاع الخاص ، وقيل كلام كثير في حججها حتى الان على
فيلمي « اليازلي » و « السيد التقدمي » وعن مساهمتها في منع
فيلم « الحياة اليومية في قرية سورية » كما نتنقم من كل ما تم
من منجزات في العهد السابق ، فان صح هذا ، ونرجو الا يكسون
صحيحا ، يكون القطاع الخاص قد استطاع توظيف عمالته في كل
الاجهزة الحساسة لتتم ابعاد المؤامرة .

اشارات مضيئة

الواقع ان المرء ليهتج في هذا الفراغ الاسود من مشاهدة بعض
الاشارات المضيئة التي تعمل بصمت وبشباب وتفان . فقد قدمت لنا
دائرة السينيما في التلفزيون العربي السوري التي يرأسها لطفي لطفي
بعض الافلام القصيرة عن الجولان والقيطرة بشكل خاص ، الى جانب
فيلم قصير عن قصة لوزيا نامر « النار والماء » في سهرة بسينما
الكندي . والافلام هي « القنيطرة ٧٤ » سيناريو واخراج محمد مصلح
وتصوير حازم بياعة و « النار والماء » سيناريو واخراج هيثم حقي
وتصوير حازم بياعة ، و « تحية من القنيطرة » سيناريو عبدالعزیز
علون ووديع يوسف واخراج وديع يوسف (من مخرجي مؤسسة السينيما)
وتصوير محي الدين سكل وفيلم « مهمة خاصة » سيناريو واخراج
هيثم حقي وتصوير محي الدين سكل . وفيلم « صفحات من قصة
الجولان » سيناريو واخراج بشار عقاد وتصوير حازم بياعة . (جميع
المخرجين السابقين تخرجوا حديثا من الاتحاد السوفيتي) وفيلم
« دروس في انحضارة » سيناريو واخراج امين البني (متخرج من
فرنسا) وتصوير حازم بياعة .

وهذه ملاحظات سريعة جدا عن هذه الاعمال ، المخلصة : صورت
بامكانيات التلفزيون الضئيلة ، وحمضت وطبعت بمساعدة مؤسسة
السينيما . وتستعري الانظار فورا موهبة محمد مصلح ورؤيته الشعرية ،
فيلمه مع بعض التحفظات في رقة زهرة مقطوعة مع مستوى في التكنيك
اكثر من مقبول ، وكذلك تألق هيثم حقي في فيلمه « مهمة خاصة »
من حيث المتناول والتكنيك والبعد النظري لولا بعض التطويل في مناظر
التدريبات مراعاة لبعض الامور المفهومة ، وقد وفق بشكل خاص في دغم
مناظر معركة جبل الشيخ الحقيقية التي التقطها الصور سمير جبر ،
الوحيد الذي صور جزءا من المعركة الحقيقية بالمناظر التي التقطت بعد
المعركة . وكان فيلم امين البني مدروسا دراسة متقنة من حيث توجهه
للرأي العام العالمي ومن حيث حلوله التشكيلية وتكنيكة المتقدم في
استخدام الصور الوثائقية .

اما فيم وديع يوسف فنقطه ضعفه الاساسية هي هذا السيناريو
المهلل وخاصة في النص الذي بدأ ثقيل الظل وليس بمستوى الفكرة
الجيدة التي يطرحها مما اساء اليه اساءة بالغة لم ينقده منها
محاولة المخرج استخدام الكاميرا استخداما حكيما في بعض الاحيان .
ويبقى فيلم بشار عقاد الذي صور بالاساس كفيلم وثائقي لارشيف
التلفزيون وكانت اللقطات غنية وحساسة . ثم نعمت الصور فسي
سيناريو مقبول رغم السرعة الظاهرة في العمل ليلحق بالاحتفال .
وقد آتت المصوران وحازم بياعة بصورة خاصة ، مقدرتهما
التكنيكية وتمكنهما من تطويع الكاميرا للموضوع الطروح .
وفي العدد القادم نحل بعض الاشارات المضيئة في مجلات
دمشق اخرى من مجالات الثقافة .